نشأة علم النفس وتطوره:

يُعد علم النفس من العلوم القديمة والحديثة في آن واحد، حيث وُجد بوجود البشرية. وكان في العصور القديمة يندرج ضمن العلوم الفلسفية، فظهر خلال المحاولات الكثيرة للتفسيرات الفلسفية لمفاهيم الروح والنفس البشرية، والتي كانت تهدف إلى فهم الأسباب العديدة التي تقع وراء التصرفات المختلفة للكائنات الحية، وتعود بدايات تأصيل علم النفس إلى الفيلسوف الإغريقي أرسطو حيث أوجد العديد من الآراء والاعتقادات والنظريات المختلفة تجاه النفس والروح وعلاقتهما بالجسد المادي، وبشكلٍ عام فإن علم النفس قد مر بالكثير من الحقب التاريخية والزمنية؛ كالعصور الإسلامية، وعصر النهضة الأوروبية نهاية بالعصر الحديث، ومنها إلى استقلاله عن الفلسفة والتي عملت على صقل العلوم النفسية والفلسفية لتظهر بمظهرها العلمي الحديث. وأعلن استقلال علم النفس التجريبي عن الفلسفة على يد العالم فونت، وأسس أول مختبر نفساني تجريبي في ألمانيا بمدينة لايبزغ ١٨٧٩م وهكذا في أواخر القرن ال١٩ ظهرت ملامح بارزة لمدارس علم النفس المعاصرة ودخول علم النفس في المرحلة العلمية.

تعريف علم النفس:

تباين علماء النفس في تعريف هذا العلم إلا انه من التعاريف يمكن أن نذكر، ((هو العلم الذي يدرس السلوك والعمليات العقلية))، ((العلم الذي يدرس الحياة النفسية من مشاعر وأحاسيس وميول ورغبات وأفعال....))، ويمكن أن نخلص إلى تعريف جامع لعلم النفس: هو دراسة علمية لسلوك الكائن الحي ولتوافقه مع البيئة. أذن فهو العلم الذي يدرس السلوك وما وراءه من عمليات عقلية ودوافعه وديناميانه وآثاره دراسة علمية يمكن على أساسها فهم وضبط السلوك والتنبؤ به والتخطيط له.

أهمية علم النفس:

يهتم علم النفس بفهم سلوك الإنسان ومحاولة تغييره أو تعديله. والإنسان (الشخصية) هو محور العمل.. الإنتاج.. الاقتصاد.. الإدارة.. السياسة.. الحرب.. العلم.. الفن.. وهو محورها لما يتمتع من قدرات وخصائص نفسية، وما يكمن وراء تغيير هذا الوجود من طاقة نفسية وجهد واقعي وقوة إبداعية هو إمكانات ينفرد بها الإنسان في عملية بنائه وتكوينه.

لذا لم يكن بمستغرب أن تتخلل أو تتغلغل قوانين علم النفس وتنساب في كافة قطاعات الحياة المختلفة، بل وقد أصبح علم النفس – بقوانينه وطرقه وأساليبه – دالة لمستوى التقدم الحضاري في عالمنا المعاصر. وتبرز أهمية علم النفس من خلال فروعه وميادينه النظرية والتطبيقية.

أهداف علم النفس:

لعلم النفس أهداف متعددة، ومن أهمها:

١- **التصنيف:**- إن مهمة التصنيف في علم النفس هي أن ندخل بعضا من النظام أو الترتيب بالنسبة للأنشطة التي يقوم بها الإنسان. وإن إقامة إطار للتصنيف ذو أهمية نظرية نحو تحقيق أهداف المعرفة العلمية، ومن أمثلته: تصنيف بعض أنواع السلوك مثل سلوك عصبي غير سوي أو سلوك مضطرب..... الخ.

٢- **الفهم (التفسير)**: يتمثل هذا الهدف في الإجابة عن السؤالين (كيف؟ ولماذا؟) يحدث السلوك، فيتشغل علم النفس بفهم الظاهرة السلوكية والوصول إلى التفسير الصحيح لها عن طريق استعمال الأساليب العلمية من تجميع البيانات وصياغة الحقائق والمبادئ، وذلك عن طريق معرفة دوافع حدوث الظواهر السلوكية، وأيضا دراسة جوانب الشخصية وما تتكون منه من خصائص وصفات وغير ذلك.

٣- **التنبؤ**: التنبؤ بالسلوك يكون عن طريق فهم الظاهرة السلوكية ودراسة جوانبها وأبعادها جميعا، فيصبح من السهل توقع سلوك معين والتنبؤ بحدوثه عن طريق معرفة طبيعة ذلك السلوك وما يمكن أن يؤثر فيه. ويتمثل هذا الهدف في الإجابة عن السؤالين (ماذا يحدث؟ ومتى يحدث؟)، وإن معيار الفهم الذي يتبناه العلماء هو القدرة على التنبؤ، فكلما كانت نسبة التنبؤ عالية فإن ذلك يدل على ارتفاع نسبة الفهم لدينا.

٤-**الضبط (السيطرة أو التحكم)**: ويعني الضبط، قدرة الباحث في التحكم في بعض العوامل أو المتغيرات المستقلة التي تسهم في إحداث ظاهرة ما، لبيان أثرها في متغيرات أخرى. وضبط هذه المتغيرات في المجال التربوي ليس بالأمر السهل لتنوعها وتفاعلها.

وباختصار فإن الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها علم النفس هي: تصنيف أنواع السلوك، وفهمه وتفسيره، والتنبؤ بما سيكون عليه السلوك، وضبط السلوك والتحكم فيه.

نستنتج أن عمليات الفهم والتنبؤ والضبط تقوم على إيجاد نوع من العلاقات بين المتغيرات موضوع الاهتمام، فالفهم يقوم على العلاقات المنطقية، والتنبؤ يقوم على العلاقات الزمنية بينما يقوم الضبط على العلاقات الوظيفية والسببية.

مدارس علم النفس:

١- **المدرسة السلوكية (Behavior school)**: أسسها واطسن Watson الأمريكي، هذه المدرسة تنظر إلى الإنسان كأنما آلة ميكانيكية معقدة، فترى أن يقتصر موضوع علم النفس على دراسة السلوك الظاهر الصريح عن طريق الملاحظة الموضوعية البحتة دون الإشارة إلى الحالات الشعورية في أثناء الملاحظة، كما ترفض منهج التأمل الباطني، وتنكر وجود قدرات واستعدادات فطرية. الخلاصة هي تركز على دراسة السلوك الملاحظ (الاستجابات) كنتيجة للأحداث البيئية (المثيرات) وتؤكد على تأثير البيئة (الخبرة) أكثر من الوراثة (الاستعدادات الفطرية) وتهمل الحالات الشعورية وترفض منهج التأمل (الاستبطان).

٢- **مدرسة الجشطلت (Gestalt school)**: ظهرت هذه المدرسة حينما كان علماء النفس يسرفون في تحليل الظواهر النفسية ويردونها إلى عناصر جزئية، ونتيجة لذلك ظهرت في ألمانيا في أوائل القرن ٢٠، وكانت تتعامل مع الإنسان ككل وتتعامل مع الظواهر النفسية على أنها وحدة متكاملة، وكلمة الجشطلت Gestalt بالألمانية معناها الكل المتكامل أو الشكل أو الصيغة أو التنظيم. وترى إن المظاهر النفسية وحدات كلية منظمة وليست مجموعة عناصر أو أجزاء متراصة، فالإدراك والتعلم أو بناء الشخصية كالمركب الكيميائي اندمجت عناصره بعضها في بعض، ولو حللنا المركب إلى عناصره تلاشى المركب نفسه، ومن مؤسسي هذه المدرسة فرتيمير، كوفكا، كوهلر، ليفن.

٣- **مدرسة التحليل النفسي (psychoanalysis)**: وهي من أقدم مدارس علم النفس ومؤسس هذه المدرسة الطبيب النمساوي (سيجموند فرويد) الذي كشف عن الجانب اللاشعوري من النفس، أكدت هذه المدرسة على أثر الدوافع والعوامل اللاشعورية في سلوك الإنسان، واهتمامها بدراسة الشخصية السوية والشاذة، وأكدت الأثر الخطير لمرحلة الطفولة المبكرة في تشكيل شخصية الراشد، وأن ظروف هذه الطفولة قد تكون سبباً في العديد من الأمراض النفسية، وكان فرويد أول من حاول تطبيق المنهج العلمي في تأويل الأحلام.

٤- **المدرسة الغرضية (purposive school)**: تطلق هذه التسمية على كل مدرسة تتكر أن السلوك يمكن تفسيره تفسيراً كاملاً على أسس ميكانيكية كما زعمت السلوكية، وترى الغرضية أن الغايات والأغراض تقوم بدور هام في تحديد سلوك الكائن الحي وتوجيهه، فكل سلوك يصدر عن الكائن يهدف إلى غاية ويتجه إلى تحقيق غرض حتى وأن لم يكن شاعراً بهذا الغرض، بل أن الإنسان كثيرا ما يقوم بأفعال لا يكون الغرض منها واضحا في ذهنه، كأن يرفع صوته أثناء الحديث على حين فجأة أو يفضل السير في طريق دون آخر، أو يجد نفسه مدفوعا إلى غسل يديه عدة مرات في اليوم. ومن هذه المدارس مدرسة علم النفس النزوعي للعالم الاسكتلندي (مكدوجل).